جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

قطوف زكية من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم

"دراسة تطبيقية"

كتبه الدكتور

أيمن حسن رجب عبد الغني

الاستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بالمنوفية

مستلة من
حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الخامس والثلاثون، لعام ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م
والمودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠١٦/٦١٥٧

دار الأندلس للطباعة-أمام كلية الهندسة-عمارات الزراعيين-شبين الكوم ت ٠٤٨٢٢٢٢٠٩٠

مُقَدِّمَة

الحمد الله الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ومعجزاً للإنس والجن ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً، ونحمده (ﷻ) على تفضله عليه بكتابه تفضلا كبيراً.

ونصلي ونسلم على المبعوث بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم الدين وبعد:-

فمما هو معلوم أنه قد جرت سنة الله تعالى أن يظهر على يد كل نبي من أنبيائه معجزة يظهر بها على قومه وتكون دليلاً على صدقه في أنه مرسل من الله تعالى.

واقتضت حكمته سبحانه أن تكون معجزة كل نبي من جنس ما نبغ فيه قومه، حتى يكون تحديه لهم فيما يتقنون وفيما يعرفون ليكون التحدي أعظم وأقوى.

فجاءت معجزة عيسى (عليه السلام) من جنس ما نبغ فيه قومه وهي إبراء الاكمه والابرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى، وكذلك معجزة موسى (عليه السلام) جاءت من جنس ما نبع فيه قومه وهي العصا واليد وغيرهما....الخ ذلك من معجزات الأنبياء (عليهم السلام).

وشاءت حكمته سبحانه – أن تكون معجزة الرسول الخاتمة الدالة على صدق الرسول (ﷺ) في التبليغ عن ربه هي القران الكريم من جنس ما نبع وتفوق فيه قومه حيث إنهم أهل فصاحة وأرباب بيان فأنزل الله القران وتحداهم به فعجزوا عن الإيتان بمثله أو بعضه.

هذا وقد تعددت وجوه إعجاز القران الكريم حتى قال الشيخ الزرقاني:

(الناظر في هذا الكتاب الكريم بإنصاف تتراءى له وجوه كثيرة مختلفة من الإعجاز، كما تتراءى للناظر إلى قطعة من الماس ألوان عجيبة متعددة بتعدد ما فيها من زوايا و أضلاع).

وكان من ضمن هذه الوجوه الكثيرة والمتعددة: الأعجاز البياني في القرآن الكريم، و ما يكمن وراءه من أسرار وحكم عديدة فأحببت أن اشارك بهذه الأطروحة مع علمي بأن الاقدمين والمحدثين من مشايخنا وعلمائنا الأجلاء قد بذلوا جهوداً مشكورة في هذا الباب المتشعب المسالك، لكني أردت أن أدلو بدلوي في جزئية معينة وهي ذكر بعض وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم حيث لا يمكن حصر تلك الوجوه تفصيلاً فكلما أمعن المسلم النظر في كتاب ربه الكريم تبين له وجوه كثيرة وصور عديدة لهذا الإعجاز البياني، وقد أسميته لذلك **قطوف زكية من وجوه في القرآن الكريم: – دراسة تطبيقية** – وتأتي أهمية: من أنه يتعلق بكتاب الله تعالى وبيان بعض وجوه إعجازه البياني حتى يعلم كل منصف ان القران الكريم قد وصل إلى سدرة البلاغة ومنتهى الفصاحة فلو قلب كل منصف بصره في الفرآن الكريم لرأي بلاغته وفصاحته في كل اية بل في كل جملة من كلماته، كما أردت بهذه الدراسة أن بين جمال وروعة النظم القرآني من خلال دقته في استعمال بعض الكلمات القرآنية والتعبير بها خاصة دون غيرها وانه لا يصلح التعبير بغيرها.

كما أردت أن أعرض هذا الموضوع بإيجاز – حتى لا يتشتت القارئ الكريم – وبأسلوب سهل لا غموض فيه حتى يواكب العصر فيدرك ذووا الألباب روعة القرآن وفصاحته وبلاغته.

وجاءت خطة البحث على النحو التالي:–

مقدمة – وتمهيد وخمسة مطالب وخاتمة.

فأما المقدمة: فبينت فيها أهمية الموضوع وخطة البحث

والتمهيد: بينت فيه معني الإعجاز – المقصود من الإعجاز – أهمية علم إعجاز القرآن الكريم – المراد بالإعجاز البياني في القرآن الكريم – من وجوه الاعجاز البياني في القرآن الكريم

المطلب الأول: من وجوه الاعجاز البياني في القران الكريم (إيجاز اللفظ مع سعة المعنى) – نماذج توضح ذلك –

المطلب الثاني: من وجوه الإعجاز البياني في القران الكريم (الدقة اللفظية في استعمال الكلمات القرآنية).

نماذج تدل على ذلك –

المطلب الثالث: من وجوه الاعجاز البياني في القرآن الكريم (التناسب البليغ بين مضامين الآيات والأسماء الحسنى في خواتيمها) – نماذج تدل على ذلك –

المطلب الرابع: (من وجوه الاعجاز البياني في القران الكريم) (استعمال الخبر بمعنى الإنشاء والفوائد المترتبة على ذألك) – نماذج تدل على ذلك –

المطلب الخامس: (من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم) (استعمال الإنشاء بمعنى الخبر والفوائد المترتبة على ذألك) – نماذج تدل على ذلك –

الخاتمة: أهم المصادر والمراجع – نتائج البحث.

هذا، وقد حرصت قدر جهدي على إعطاء كل جزئية في هذا البحث حقها في الدراسة، وتوخيت جودة التنظيم وحسن التعبير والفضل لله (ﷻ) وحده في كل صواب تضمنه هذا البحث، أما القصور فينسب إليَّ وحدي، والكمال له سبحانه وحده، ولكتابه الكريم.

تمهيد

أولاً: معني الإعجاز

الإعجاز معناه: إثبات العجز، والمعجز هو: القصور عن فعل الشى، وهو ضد القدرة وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، وتفرد المعجزة.

وقد ذكر أهل اللغة ان (العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، ويدل أحدهما على الضعف والأخر على مؤخر الشئ)(١).

وصار العجز في التعارف: اسم للقصور عن فعل الشئ، وهو ضد القدرة(٢).

ومعني إعجاز القرآن: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، أي نسبة العجز إلى الناس بسبب عدم قدرتهم على الإتيان بمثله أو بسورة منه(٣).

ومما هو جدير بالذكر هنا أن العلماء ذكروا في تعريف الإعجاز أقوالا عديدة تختلف ألفاظها وتتحد معانيها منها: أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به(٤).

ويمكن القول أيضاً أنه: عجز المخاطبين بالقرآن وقت نزوله ومن بعدهم إلى يوم القيامة عن الاتيان بمثل هذا القرآن مع تمكنهم من البيان وتملكهم لأسباب الفصاحة والبلاغة وتوفر الدواعي، واستمرار البواعث.

ثانياً: المقصود من الإعجاز:

---

(١) مجمع مقاييس اللغة لابن فارس (عجز) ص (٧٣٨) ط دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٥هـ وأيضا: لسان العرب لابن منظور جـ٥ (٣٦٩-٣٧٣) ط دار صاد بيروت. د. ت. – وأيضا: المفردات في عزيب القرآن للراغب الأصفهاني (٣٢٥) ط الميمنية بمصر ١٣٢٤هـ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٣٣١/٢) ط دار إحياء الكتب العربية.

(٤) المعنى أبواب التوحيد والعدل جـ١٦ (إعجاز القرآن ص (٢٢٦) تأليف/ عبد الجبار الهمداني – الدار المصرية للتأليف.

إن إعجاز القرآن – كما بينا سابقاً – مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الاتيان بما تحداهم به، ولكن التعجيز المذكور ليس مقصوداً لذاته بل المقصود لازمه وهو إظهار ان هذا الكتاب حق، أن الرسول الذي جاء به رسول صدق، وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء، ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز ولكن للازمه وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنهم صادرة عن الإله القادر لحكمة عالية وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا بإتباعه في الدنيا و الآخرة.(١)

وعلى ذلك فإن المقصود من الإعجاز القرآن أمران:

الأول: إثبات أن هذا القرآن حق منزل من عند الله تعالى

الثاني: إثبات صدق نبوة سيدنا محمد (ﷺ) وأنه رسول الله الذي أيده الله بهذه المعجزة الخالدة، و إذا ثبت الإعجاز

ثبتت المعجزة فالقرآن وهو المعجزة الخالدة لرسول الله (ﷺ) دليل صدق على أنه كلام الله تعالى وأن محمداً عبده ورسوله وأن الحجة قائمة وقاطعة بأنه ليس من قول المصطفي (ﷺ)– ولا من قول غيره من البشر من باب أولى.

ثالثاً: أهمية علم إعجاز القرآن الكريم

إن إعجاز القرآن الكريم علم ذو أهمية عظيمة جليلة إذبه يعرف صدق صاحب الرسالة (ﷺ) فيما يبلغ عن ربه (ﷻ)، الإيمان اليقيني بهذا القرآن يخرج الانسان من حيرة الضلال إلى سكينة الهدى، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، قال عز من قائل: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٣٣١/٢).

﴿ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾[1] وإن إثبات كون القرآن الكريم معجزة خارقة للعادة أنزلها الله على قلب رسوله محمد (ﷺ) ولم يستطع أحد معارضتها هو الباب الأعظم والأوسع لدخول بني الإنسان في دين الله أفواجاً، قال رسول الله (ﷺ) **(ما من نبي من الانبياء الا أعطى من الآيات ما مثله أمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)**[2]

وقد جاءت شهادات العلماء تترى مؤكده أهمية (علم إعجاز القران الكريم) ومنها ما قاله الامام بدر الدين الزركشي في برهانه عن إعجاز القرآن الكريم: (هو علم جليل، عظيم القدر الان نبوة النبي (ﷺ) معجزتها الباقية القرآن وهو يوجب الاهتمام بمعرفة الإعجاز)[3]

ويقول العلامة الشيخ/ محمد رشيد رضات (١٣٥٤هـ): (.....الكلام في وجوه إعجاز القرآن واجب شرعاً وهو من فروض الكفاية)[4]

رابعاً: المراد بالإعجاز البياني في القرآن الكريم

---

(١) سورة إبراهيم آية: ١.

(٢) الحديث رواه الشيخان، صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن باب (١) حديث رقم (٤٩٨١) الصحيح على فتح (٦١٩/٨) لابن حجر العسقلاني ط دار المعرفة – بيروت – لبنان تخصيص أ / محمد فؤاد عبد الباقي – وصحيح مسلم : كتاب الإيمان – باب وجوب الايمان برسالة محمد (ﷺ) إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته (١٣٤/١) حديث (٢٣٩) ط محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث. د. ت. وراه الامام أحمد مسنده (٣٤٥/٢) تحقيق أحمد محمد شاكر. ط مكتبة التراث الإسلامي.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٠١/٢) تحقيق / مصطفى عبد القادر عطا – ط دار الفكر – بيروت ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٤) مقدمة الأستاذ رشيد رضا لكتاب: إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي ص (١٣) ط دار المنار – مكتبة فياض د. ت.

لقد كان العرب أرباب فصاحة وبلاغة وفرسان قول وبيان، ولهذا كانت معجزة النبي (ﷺ) القرآن الكريم البليغ المعجز، وذلك لتكون المعجزة من جنس ما اشتهر به قومه، فالعربي تستهويه الكلمة الفصيحة، ويملك ناصيته البيان المعجز والأسلوب البليغ، ولذلك كان الاعجاز البياني من أبرز وجوه الاعجاز وأظهرها إذ هو المطابق لأحوال العرب وقت نزول القرآن، فالتحدي يكون بجنس ما برز فيه القوم وتفوقوا وهم تفوقوا في البيان والبلاغة والفصاحة ولم يتفوقوا في العلوم والمعارف وأخبار الغيب أو التشريع أو نحو ذلك.

فكان الإعجاز بالبيان أظهر وجوه التحدي وأبرزها، والقوم أدركوا أول ما ادركوا إعجازه البياني، فملك منهم الألباب واستولى على الأفئدة، يطلق على هذا الوحه عدة مصطلحان فيسمى: الإعجاز البياني، الإعجاز البلاغي، والاعجاز اللغوي....الخ) [1]

قال أبو بكر الباقلاني عن القرآن: (إن عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولايتباين على ما يتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار إنذار وغير ذلك من الوجوه التي يتمثل عليها، ونجد كلام البليغ الكامل، والشاعر المغلق، والخطيب المصفح يختلف على حسب اختلاف هذه الامور فمن الشعراء من يجود في المدح دوله الهجو، ومنهم من يبرز في الهجو دون المدح.....وقد تأملنا نظم القرآن فوجد ناجميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم وبديع

(١) راجع المسألة بتوسع في: كتاب النبأ العظيم للدكتور محمد عبد الله دراز ص (٩٢) وما بعدها. ط دار القلم – الكويت الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ.

التأليف والوصف لا تفاوت فيه ولا انحطاط عن المنزلة العليا ولا إسفال فيه إلى الرتبة الدنيا..... فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر...)[1].

والإعجاز البياني يتجلى في فصاحة القرآن وبلاغته.

معنى الفَصَاحة لغةً واصطلاحاً

معنى الفَصَاحة لغةً:

الفَصَاحة هي الإبَانَة والظُّهور، يقال: أفْصَحَ الصُّبح، إذا بدا ضوؤه. وكلُّ وَاضِحٍ: مُفْصِحٌ. ورجلٌ فَصِيح وكلامٌ فَصِيح، أي: بَلِيغ. ولِسَانٌ فَصِيح، أي: طَلْقٌ.

معنى الفَصَاحة اصطلاحًا:

قال الجرجاني: (وهي – أي الفَصَاحة – في المفرد: خُلُوصه من تَنَافر الحروف والغَرَابة ومُخَالفة القِياس، وفي الكلام: خُلُوصه من ضعف التَّأليف، وتَنَافُر الكلمات مع فَصَاحَتها، ... وفي المتكلِّم: مَلَكَةٌ يقتدر بها على التَّعبير عن المقصود بلفظ فَصِيح).

وقال الرَّازي: (الفَصَاحة خُلُوص الكلام من التَّعقيد).

وقيل: (الفَصَاحة عبارة عن الألفاظ البيِّنة الظَّاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأْنُوسة الاستعمال بين الكُتَّاب والشُّعراء لمكان حُسْنِها ... وفَصَاحة الكلام: سلامته بعد فَصَاحة مفُرداته ممَّا يُبهم معناه، ويَحُول دون المراد منه).

تعريف البلاغة لغة:

(١) راجع: إعجاز القران للباقلاني (١/٦٦-٦٩) بتصرف يسير – مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة. ط أولى ١٤٠٦هـ

البلاغة هي أحد علوم اللغة العربية، وهي اسم مشتق من الفعل بَلَغَ، أي بمعنى وَصَلَ إلى النهاية، وقد سمّيت البلاغة بهذا الاسم؛ لأنّها تنهي المعنى إلى قلب المستمع ممّا يؤدّي إلى فهمه بسهولة، وتعرف البلاغة لغة بأنّها الوصول والانتهاء إلى الشيء، مثل قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ ﴾، أي بمعنى وصل، وبلغ التاجر السوق أي وصل التاجر السوق، ومبلغ الشيء منتهاه، فالبلاغة تدلّ في اللغة على إيصال معنى الخطاب كاملاً إلى المتلقي، سواء أكان سامعاً أم قارئاً، كما أنّ الإنسان يوصف بأنه بليغ حين يكون قادراً على إيصال المعنى إلى المستمع بإيجاز ولديه القدرة على الإقناع بواسطة كلامه وأسلوبه.

تعريف البلاغة اصطلاحاً:

تعرف البلاغة بأنها مطابقة الكلام الفصيح لمقتضى الحال، أو سوق الكلام الفصيح على مقتضى الحال بحسب المقامات، كما أنّ البلاغة لا تكون وصفاً للكلمة أو المتكلّم، وإنّما تكون وصفاً للكلام، وتحمّل البلاغة معاني كثيرة في ألفاظ قليلة، فالبلاغة كلمة تستخدم لتكشف عن بقية الكلام بإيجاز وإيصال للمعنى، والبلاغة أيضاً تكون ضد العيّ، والعيّ هنا معناه العجز عن البيان، (والبلاغة اصطلاحاً تقوم على تأدية المعنى الجليل بعبارة صحيحة، يكون لها في النفس أثر خلاب، مع ملائمة للكلام في كل موقع يقال فيه).

ومعني الإعجاز البياني في القران الكريم: الغاية العظمى في أداء المعاني ووضوحها بما يعجز البشر عن الاتيان بمثله.[1]

وجوه الإعجاز البياني: -

(١) المصدر السابق (١/٦٦-٦٩) بتصرف.

لو استعرضنا آيات القران الكريم من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس لوجدنا كل آية قد تحققت فيها الفصاحة والبلاغة في أبهى صورها: ولو جدنا أن معاني الكلمات تنساب إلى القلب قبل أن تبهرنا الألفاظ بجمالها، سواء في ذلك السور والآيات التي تلفت أنظارنا إلى الآفاق لنستدل على الصانع سبحانه أو الآيات التي تتعلق بالبعث والنشور والموقف والحساب أو تلك الآيات التي تتعلق بالأسرة والأحكام والحدود، وكل تلك الآيات تحمل الدلالة العظيمة على إعجاز القرآن البياني وجماله، ومما لاشك فيه ان وجوه الاعجاز البياني في القرآن الكريم لا يمكن حصرها على وجه التفصيل فالقرآن الكريم كما قلنا من بنأمل فيه بانصاف يتراء له في كل مرة وجوه مختلفة من الإعجاز البياني أو البلاغي إذا ان مراتب البيان في القرآن لا يمكن حصرها، فالذي يقرأ القرآن تبد برو إنصاف يجد في آياته من الوضوح ما يبوئها ها الدرجة العليا في البيان بأسلوب محكم خال من كل غريب عن الغرض، فإذا أعاد النظر مرة أخرى لاح له منها معان جديدة فإن زاد التدبر زاد العطاء، و انكشف له ما يجعله يوقن بوغ القرآن الغاية العظمى في الفصاحة و البلاغة و أن ما تميز به من جودة النظم وحسن الاسلوب والتناسب والترابط بين آياته وسورة مع نزولها في أوقات مختلفة وأزمنه متباعدة...الخ، لهو أسطع برهان على أنه حقا: كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير).

ولكي يتجلى لنا هذا البيان الرابع في فصاحة القرآن وبلاغته نقتطف بعض الوجوه الدالة على ذلك، ومنها ما يأتي:-

أولاً: إيجاز اللفظ مع سعة المعنى.

ثانيا: الدقة اللفظية في استعمال الكلمات القرآنية.

ثالثا: التناسب البليغ بين مضامين الآيات والأسماء الحسنى في خواتيمها.

رابعاً: استعمال الخبر بمعنى الإنشاء والفوائد المترتبة على ذلك)

خامساً: (استعمال الإنشاء بمعنى الخبر والفوائد المترتبة على ذلك.

المطلب الأول
من وجوه الإعجاز البياني في القران الكريم

[إيجاز اللفظ مع سعة المعني]

وذلك أننا نلحظ حين نتمعن في آيات الذكر الحكيم وتدبرها جيداً أن القرآن الكريم يعبر بألفاظ وجيزة وقليلة عن معان واسعة قد تحتاج في توضيحها وبيان ما يتعلق بها من أحكام إلى عدة مؤلفات وبسط واستطراد في بيان ما تحمله بين طياتها من فوائد جمة وهو ما يعبر عنه أيضا بقولهم: القصد في اللفظ مع الوفاء بالمعنى، وهما طرفان متقابلان.

الميل لأحدهما ميل عن الآخر، فمنه أوجز في لفظه لا ينفك من أن يحيف على المعنى قليلاً أو كثيراً، ومن يعمد إلى الوفاء بالمعنى و إبراز كل دقائقه لا يجد في قليل اللفظ ما يشفي صدره، فيسترسل استرسالاً يشعرك بتضاؤل قوة نشاطك، واضمحلال باعثة إقبالك فإن سرك أن ترى كيف تجتمع هاتان الغايتان على تمامهما بغير فترة ولا انقطاع، فانظر حيث شئت من القرآن الكريم تجد وفاء الالفاظ بحصن المعاني، واحتواء المعاني للألفاظ بحيث لا يستفني معني عن لفظه ولا تقصير لفظه عن معني كما قال أبن عطية (لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد)[1] – ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي.

أ– ذكر أهل البلاغة و الفصاحة أن من أبلغ ما قالته العرب قولتهم المشهورة: (القتل أنفى للقتل) وهذه الكلمة على بلاغتها عندهم قد فاقتها في

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١/ ٦٠–٦١) ط أولى ١٣٩٨هـ الدوحة – قطر – طبع على نفقة أمير قطر – تحقيق الرجالي الفاروق وآخرين.

البلاغة والفصاحة وتجاوزها بكثير جزء من الآية الكريمة: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1] وقد أبرز علماء البلاغة أن قوله) في القصاص حياة أبلغ وأفصح من تلك الكلمة التي قالتها العرب بقرابة عشرين وجها أو أكثر منها:

أ- إن عدد الحروف في جملة: (في القصاص حياة) التي في الآية الكريمة أقل من عددها في كلمة العرب (القتل أنفي للقتل) فحروف الآية اثنا عشر حرفا، وتلك أربعة عشر حرفاً.

ب- أن الآية معناها واضح بيّن جلى وهو معني مطرد مستمر فإ قامة القصاص سبب في حفظ الحياة، بينما (القتل أنفى للقتل) ليست مطردة لأنه ليس كل قتل أنفى للقتل بل قد يكون القتل ظلما وعدواناً.

ج- أن الآية الكريمة خالية من التكرار، بينما كلمة العرب فيها تكرار لفظ القتل، والخالي من التكرار أبلغ من المشتمل على التكرار.

د- إن لفظ القصاص مشعر بالمساواة فهو مبني على العدل بخلاف القتل.. وغير ذلك من وجوه الإعجاز.[2]

وأقول: إن التعبير بقوله ولكم في القصاص حياة، مع قلة ألفاظ هذه العبارة و ووجازتها إلا أنها أرشدت إلى معان واسعة جمة لا يمكن أن تفي بها عبارات أخرى، وأضيف إلى تلك المعاني السابقة أن هذه الألفاظ القليلة بين حكمته سبحانه في مشروعية القصاص، و أنه سبب في حفظ الحياة فبه تحقن الدماء وتنقمع به الأشقياء لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل لا يكاد يصدر منه القتل،

(١) سورة البقرة آية: ١٧٩.

(٢) راجع: الإتقان في علوم القرآن (٢/٥٥-٥٦).

وإذا رؤى القاتل مقتولاً انذعر بذلك غيره وانزجر فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل لم يحصل انكفاف الشر الذي يحصل بالقتل، فمن علم أنه إن قتل سيقتل و لو بعد حين فإنه سيفكر ألف مرة قبل أن يقدم على تلك الجريمة النكراء ولاشك أن في هذا أكبر زاجر لحفظ الحياة.

المثال الثاني: قوله تعلى: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ ﴾[1].

والمعنى: ولما رجع موسى (عليه السلام) إلى قومه فوجدهم على هذه الحال من عبادة العجل، وأخبرهم بضلالهم ندموا وتضرعوا إلى الله تعالى بأن يمن عليهم بالرحمة والمغفرة لما صدر منهم من عبادة العجل وإلا أصبحوا من الخاسرين في الدنيا والآخرة.

و لاشك أن التعبير القرآني بقوله: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ ألفاظه قليلة إلا أنه يحمل معان جليلة واسعة فهو كناية[2] عن اشتداد ندمهم فإن النادم المتحسر يعض يده غماً فتصير يده مسقوطاً فيها.[3]

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٤٩.

(٢) الكناية هي لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه معه أيضا ينظر في ذلك: تلخيص المفتاح للقزويني ص ١٦٦ طبعة المكتبة المصرية بيروت سنة ٢٠٠٢م.

(٣) يراجع: تفسير أبي السعود (٣٧٣/٣) ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان د. ت – وأيضا: أنواع التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (٣٥/٣) ط أولى ١٤١٨هـ – دار إحياء التراث العربي – بيروت

وقال الزجاج: (معناه سقط الندم في أنفسهم إما بطريق الاستعارة بالكناية أو بطريق التمثيل)[1].

وعلى كل: فهو كناية عن شدة الندم لأن النادم يعض على يده عادة ألماً وحزنا ومما هو جدير بالذكر: أن هذا نظم لم يسمع قبل القرآن ولا عرفته العرب يحمل معاني بليغة متعددة، وذكرت اليد لأن الندم يحدث في القلب و أثره يظهر فيها بالعض أو بالضرب بها على اليد الأخرى[2].

فيستنتج مما تقدم: أن هذا التعبير القرآني جاء على أنسب وجه رغم قلة ألفاظه إلا أنه أفاد شدة الندم والحسرة والاعتراف بالضلال و إظهار الألم والحزن مع طلب الرحمة والمغفرة منه (ﷻ) وكلها معان واسعة أشار إليها هذا اللفظ القرآني الوجيز.

(١) الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه أ / محمود صافي (٨١/٩) ط دار الرشيد – دمشق الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

(٢) التفسير المنير أ. د / وهبة الرحيلي (٩٤/٩) بتصرف ط أولى دار الفكر بيروت.

المطلب الثاني

(من وجوه الإعجاز البياني القرآن الكريم)

الدقة اللفظية في إستعمال الكلمات القرآنية.

مما لاشك فيه أن كل كلمة في القرآن الكريم تؤدى معني دقيقا محدداً ويكون هذا المعني هو الأبلغ والافصح وهو المقصود من الآية ومما يزيد الاعجاز وضوحاًأن استخدام أي كلمة أخرى من مراد فات الكلمة القرآنية لا يمكن أن تؤدي المعني المراد ببلاغته و وضوحه فمن وجوه الإعجاز البياني دقة أداء الألفاظ للمعاني أو بأسلوب آخر: اختيار المكان المناسب للكلمة المعبرة.

٢- ومن الأمثلة التي توضح ذلك:-

أ- قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ....﴿٢٢٣﴾﴾[1]

فاختيار كلمة (الحرث) تحديداً والتعبير بها دون سواها من الكلمات إعجاز لأن في هذه الكلمة كناية جميلة، ذلك أن التشابه قائم بين صلة الزارع بحرثه وصلة الزوج بزوجه، وبين ذلك النبت الذي يخرجه الحرث، وذلك النبت الذي تخرجه الزوجة و ما في كليهما من تكثير وعمران وفلاح، فهذه المعاني كلها تؤخذ من كلمة الحرث، لكننا لو استخدمنا كلمة الأرض أو الحقل أو غير ذلك لم تؤد ذلك المعنى الذي أدته كلمة الحرث، لأن الأرض قد تكون جدباء فلا تصلح للحرث، والحقل لا يدل على الملك لأنه قد يكون لغيره، أما الحرث فإنها تؤدي ذلك المعنى البليغ في أبهى صوره.

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٢٣.

ب- ومن ذلك أيضا تخصيص آيتي البقرة وإبراهيم بالتعبير بلفظ الذبح خصوصا وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾[1]

وأيضا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ ﴾[2]

وأما سورة الأعراف فخصها بلفظ القتل دون الذبح فقال: ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ﴾[3].

وتوجيه ذلك على النحو التالي:

أن الذبح منبئ عن القتل وصفته وأما اسم القتل فلا يفهم إلا إعدام الحياة ويتناول من غير المقتول في الغالب فعبر أولاً بما يوفي المقصود من الاخبار بالقتل مع إحراز الايجار إذ لو ذكر القتل و أتبعه بالصفة لما كان إيجازاً فعدل إلى ما يحصل عنه المقصود مع ايجاز فقيل: (يذبحون).

---

(١) سورة البقرة آية: ٤٩.

(٢) سورة إبراهيم آية: ٦.

(٣) سورة الأعرف آية: ١٤١.

وعبر في سورة (الأعراف) بالقتل خصوصاً لأنه أوجز من لفظ (يذبحون) لأجل التضعيف إذ لفظ (يذبحون) أثقل لتضعيفه وقد حصلت صفة القتل في سورة البقرة فأحرز الإيجاز في الكل وجاء كل موضع على أتم مناسبة.(١)

وأقول إضافة لما سبق: إن الذبح أعم من القتل وأبلغ لأنه ينبئ عن القتل و كيفيته وصفته و أما القتل فهو إزهاق للروح فحسب، وقد عبر الله تعالى بالذبح في (البقرة و إبراهيم) وخص الذبح بالذكر فيهما لعظم وقعه عند الأبوين، ولأنه أشد على النفوس، وأما قوله (يقتلون) في (الأعراف) فهو من تنويع الألفاظ كما أنه لم يقصد فيها ما قصد في (إبراهيم) من تعد اد المحن على بني إسرائيل ولاشك أن التعبير بالذبح فيه دلالة على عظم تلك المحنة، فنلحظ هنا الدقة اللفظة في استعمال الكلمات القرآنية، وهذا وجه من أوجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم.

ج- قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾(٢) وأيضا قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ..﴿٤٣﴾﴾(٣) فاختيار كلمة (ونزعنا) في الموضعين دون غيرها من الألفاظ إعجاز بياني وتوضيح ذلك:

أن نزع الشيء جذبه من مقره كنزع القوس عن كبده، ويستعمل ذلك في الأعراض، ومنه نزع العداوة والمحبة من القلب قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي

(١) راجع في ذلك: ملاك التأويل لابن الزبير الغرناطي (١٩٩/١-٢٠٠) تحقيق سعيد الفلاح. ط ١ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م دار العرب الاسلامي بيروت.

(٢) سورة الحجر آية: ٤٧.

(٣) سورة الاعراف آية: ٤٣.

﴿صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ...﴾[1] الخ. الغل: يطلق على الحقد، غل صدره يغل[2]، وعرفه بعض المفسرين بأنه الحقد الكامن في القلب، ويطلق على الشحناء، و العداوة، و البغضاء، و الحقد والحسد، كل هذه الخصال المذمومة داخلة في الغل لأنها كامنة في القلب، ومن هنا فإن اختيار هذا اللفظ بعينه دون غيره جاء على أنسب وجه إذ المعنى: أزلنا ما في قلوب أهل الجنة من الحقد و البغضاء و الشحناء[3]. وقد قال ابن عباس: (أول ما يدخل أهل الجنة تعرض لهم عينان، فيشربون من إحدى العينين فيذهب الله ما في قلوبهم من غل، ثم يدخلون العين الأخرى فيغتسلون فيها فتشرق ألوانهم وتصفو وجوههم وتجري عليهم نضرة النعيم)[4].

وعلى ذلك فلو استعمل القرآن كلمة أخرى غبر (نزعنا) فلا يمكن أن تؤدى المعني المراد ببلاغته ووضوحه مثل (نزعنا) ومما هو متمم للفائدة هنا أيضا اختصاص آية الحجر دون آية الاعراف بزيادة لفظ (إخوانا) وذلك لأن آية الحجر نزلت في أصحاب رسول الله (ﷺ) فقد آخي الله بينهم ونزع غل الجاهلية من صدورهم وأما حذف هذا اللفظ من آية الاعراف فلأنها عامة في سائر المؤمنين.

---

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (٤٨٧ – ٤٨٨) تحقيق: محمد سيد كيلاني – دار المعرفة – بيروت. د. ت.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادى (٦١/٤) ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

(٣) صفوة التفاسير للصابوني (مج٢) ص (١١٢ ط٩. دار الصابوني.

(٤) تفسير القرطبي (٥/ ٣٧٥٦) دار الغد العربي – القاهرة ط أولى ١٤٠٩هـ.

[من وجوه الإعجاب البياني في القرآن الكريم]

التناسب البليغ بين مضامين الآيات و الأسماء الحسنى في خواتيمها.

الآيات القرآنية التي ختمت بأسماء الله الحسنى كثيرة جداً، ومن الملاحظ كثرة التنوع في تلك الأسماء الحسنى ومن وجوه الإعجاز البياني أن كل اسم من الأسماء الحسنى ختمت به آية من الآيات يكون هو الأنسب، وتكون الصلة بينه وبين مضمون الآية ومعناها وطيداً، ويأتي مكملاً للمعنى بأبلغ صورة وأجمل لفظ، ولو وضعنا اسما آخر من الأسماء – وكلها حسنى وتدل على الحق جل وعلا – لم يكن ذلك محققا للدلالة الدقيقة والبلاغة الرفيعة نفسها. ومن الأمثلة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

فالآية الأولى لما كانت تتحدث عن حدً من حدود الله لكبيرة من الكبائر وهي السرقة ولما كانت العقوبة شديدة وصارمة وهي قطع اليد لأجل ذلك ناسب أن يكون ختامها **(والله عزيز حكيم)** فالعزيز هو الغالب الذي لا يقهر، والحكيم هو الذي يضع الأمور في نصابها وهذا مناسب لدلالة الآية، فحكم القطع وضعه مَن لا يقهر ولا يغلب فأمره نافذ وحكمة قاطع وأن توهم متوهم أن في الحكم مفسدة أو قسوة زائدة، جاء اسم الحكيم ليرد ذلك ويبين أن في القطع حكمة بالغة ومصلحة غالبة ومنعا لتكرار أو شيوع السرقة في المجتمع ومن ثم تحقق حفظ المال، وهذا من المقاصد الشرعية الكلية الخمسة بينما نري الآية الثانية وهي تتحدث عمن تاب وأناب ورجع عن ظلمه وأصلح بعد الإفساد فناسب أن تختم بقوله: (إن الله

(١) سورة المائدة آية: (٣٨ – ٣٩).

غفور رحيم ومناسبة ذلك لمعني الآية واضح لا يحتاج إلي تعليق، وهكذا لو تتبعنا أسماء الله الحسني في خواتيم الآيات لوجدناها جاءت علي أتم وأكمل الوجوه في تطابق ومناسبة معناها مع دلالة الآيات ومضامينها، ويشهد لهذا المثال السابق ما حكي أن الأصمعي[1]: قرأ قوله تعالي: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءً بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فبدل أن يقول: **(والله عزيز حكيم)** قال: **(والله غفور رحيم)** سهوا، وكان إلي جنبه أعرابي فسمعه فأنكر قراءته وقال له: ليس هذا كلام الله، فتنبه الأصمعي فقال: **(والله عزيز حكيم)** فقال الأعرابي: أصبت، هذا كلام الله فقال له الأصمعي: أتقرأ القران ؟ قال: لا فقال له فمن أين علمت أني أخطأت ؟ فقال يا هذا: عز فحكم، فقطع، ولو غفر ورحم ما قطع[2]....).

ومن ذلك أيضا: ما جاء في سورة النور في قولة تعالي: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾[3] وأيضا قوله تعالي بعد ذلك: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾[4] فنلحظ هنا أن الآية الأولي ختمت بقوله: **(وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ)** والتي بعدها ختمت بقوله:

---

(١) الأصمعي: هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد، راوية العرب وأحد أئمة اللغة والشعر.. ولد سنة (١٢٢هـ) وتوفي (٢١٦هـ) ينظر في ترجمته الأعلام للزركلي (١٦٢/٤) ط دار العلم للملاين بيروت ط٥ – ١٩٨٠م

(٢) ينظر :تفسيرالفخر الرازي (٢٢٩/١١) ط ثالثة – دار إحياء التراث العربي. بيروت.لبنان.د. ت.

(٣) سورة النور آية: ١٠

(٤) سورة النور آية: ٢٠.

(وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) وقد تحقق التناسب البليغ بين مضمون الآيتين والأسماء الحسني التي ختمت بها كل آية وتوضيح ذلك: آن الآية الأولي تقدمها ذكر الزنا والجلد فناسب ختمه بالتوبة حثا علي التوبة منه وأنها مقبولة من التائب وناسبه أنه حكيم لأن الحكمة اقتضت ما قدمه من العقوبة لما فيه من الزجر عن الزنا وما يترتب عليه من المفاسد وأما الآية الثانية فقوله تعالي: (رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) ذكره بعد ما وقع به أصحاب الإ فك فبين أنه لولا رأفته ورحمته لعاجلهم بالعقوبة علي عظيم ما اقترفوه من الإفك ولذلك قال تعالي فيما تقدمه: ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾﴾فختمت كل آية بما يناسبها من أسمائه سبحانه الحسنى.(١)

ويضاف لذلك: انه ختم الأولي بقوله: (تَوَّابٌ حَكِيمٌ) لأن الله أراد الستر علي عباده بتشريع اللعان بين الزوجين فلو لم يكن اللعان مشروعا لوجب علي الزوج حد القذف مع أن الظاهر صدقه ولو اكتفي بلعانه لوجب علي الزوجة حد الزنا فكان من الحكمة وحسن النظر لهما جميعا أن شرع هذا الحكم، ودرأ عنهما العذاب بتلك الشهادات فسبحانه ما أوسع رحمته وأجل حكمته، وأما تعقيب الآية الثانية بقوله: (رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) فهذا مناسب تماما بعد التوبيخ والتعنيف لأهل الافك فلولا رأفته تعالي ورحمته بأهل الافك لأهلكهم وعذبهم ولكنه أمهلهم حتى يتوبوا.

(١) كشف المعاني في متشابه المعاني البدر الدين ين جماعة (١٥٣) ط دار المنار – تحقيق د/ محمد داود. للطبعة الأولى ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

٣) ومن ذلك أيضا: قوله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾[1].

فأن مضمون الآيتين مناسب تماما لما ختمت به كل آية من أسمائه تعالي الحسني، وتوضيح ذلك بإيجاز: أن الآية الأولي ختمت بقوله: (وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ) وفي ذلك تصريح بان الله قد غفر لرسوله (ﷺ) ورفع عنه اللوم ورحمه وصار ذلك التحريم الصادر منه سببا لشرع حكم عام لجميع الامة فقال تعالي بعدها: (قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ) وهذا عام في جميع أيمان المؤمنين أي: قد شرع الله لكم وقدر ما به تنحل أيمانكم قبل الحنث وما به تتكفر بعد الحنث وذلك كما في قوله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ ....٨٧ ﴾ إلى أن قال تعالي: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ ...٨٩ ﴾[2].

فكل من حرم حلالا عليه من طعام او شراب أو سرية أو حلف يمينا بالله علي فعل او ترك ثم حنث واراد الحنث فعليه هذه الكفارة المذكورة كما ان ختم الآية الاولي ايضا باسمه الغفور وباسمه الرحيم يجعل قلب المؤمن يمتلأ بالرجاء فلا ييأس من عفو الله ورحمته أبدا كما أن تنزيل الآية الثانية وختمها بقوله: (وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ) الذي أحاط علمه بظواهركم وبواطنكم، وهو الحكيم في

(١) سورة التحريم آية: ١-٢.

(٢) سورة المائدة آية (٨٧-٨٩).

جميع ما خلقه وحكم به فلذلك شرع لكم من الأحكام ما يعلم أنه موافق لمصالحكم ومناسب لأحوالكم[1] وقد جاء ذلك مناسب تماما لما تضمنته الآية الكريمة، وبذلك نلحظ التناسب البليغ بين مضامين الآيات والأسماء الحسني التي ختمت بها.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٨٠٨) بتصرف- ط مؤسسة الرسالة.

المطلب الرابع

(من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم)

استعمال الخبر بمعني الإنشاء والفوائد المترتبة علي ذلك

يجدر بنا قبل ان نبين ذلك أن نقف بشي من الإيجاز مع معني الخبر والإنشاء لغة واصطلاحا حتى تكتمل الفائدة.

الخبر لغة: يدور معني الخبر في اللغة علي الإعلام والإنباء، قال ابن فارس (الخاء والباء والراء أصلان: فالأول العلم، والثاني يدل علي لين ورخاوة وغزر فالأول: الخبر: العلم بالشيء، تقول:لي بفلان خبير وخبر. والله تعالي الخبير أي: العالم بكل شي، قال الله تعالي: ﴿ ..وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ...﴿١٤﴾ ﴾[1] والأصل الثاني: الخبراء وهي الأرض اللينة).[2]

وقال صاحب اللسان: الخبر: النبأ: والجمع أخبار وأخابير جمع الجمع..... وخبره بكذا وأخبره: نبأه).[3]، ولعل ما ذكره ابن فارس في ذلك يكون أكثر دقة مما ذكره صاحب اللسان وذلك لأن النبأ خبر خاص، وليس هو مطلق الخبر فهو الخبر المهم ذو الشأن الكبير ويدل علي ذلك مادة الكلمة الدالة علي الارتفاع والعلو.[4]

---

(١) سورة فاطر آية: ١٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة لأبن فارس مادة خبر (٢٣٩/٢)- تحقيق / عبد السلام هارون – دار الفكر – بيروت ط ١٩٧٩م.

(٣) لسان العرب لأبن منظور مادة (خ ب ر) (٢٢٦/٤) دار صادر بيروت.

(٤) راجع ذلك في: الصاحبي في فقه اللغة لأبن فارس القز ويني (١٣٣) الناشر / محمد علي بيضون – ١٤١٨هـ –١٩٩٧م.

الإنشاء لغة: يدور معناه علي الإحداث والارتفاع قال ابن فارس: (النون والشين والهمزة أصل صحيح يدل علي ارتفاع في شيء وسمو) [١] وقال الراغب:(النشء والنشأة: إحداث الشيء وتربيته).[٢]

الخبر والإنشاء اصطلاحا:

وقد اختلفت أقوال أهل العلم قديما وحديثا في معني الخبر والإنشاء.، وبالتأمل فيها يظهر ان ثمة تعريفيين اثنين هما أشهر ما قيل في معني الخبر والإنشاء هما:

الأول: الخبر: ما احتمل الصدق والكذب، وما عداه فهو الإنشاء.

الثاني: الخبر: ما احتمل الصدق والكذب لذاته، وما عداه فهو الإنشاء.[٣]

قلت: والسبب في هذا الخلاف أن التعريف يجب ان يكون جامعا مانعا كما يقول علماء البحث والمناظرة [٤]، ولكن عند فحص هذه التعريفات المشهورة نجدها تتصادم مع أخبار تجزم أنها أخبار، ونجمع مع هذا الجزم جزما آخر بأنها صادقة ويستحيل أو يمتنع أن تكون كذبا بوجه من الوجوه كالأخبار الواردة عن الله تعالي أو ما صح عن رسوله الكريم (ﷺ) كما أن في بعض هذه التعريفات ما لا تستقيم نسبته إلي الله تعالي أو إلي رسوله الكريم (ﷺ) وذلك من وجهين:

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥ / ٤٢٩).

(٢) مفردات القرآن للراغب مادة (ن ش أ) (٨٠٧) تحقيق صفوان داودي. دار العلم الدار الشامية. دمشق. بيروت طبعة ١٤١٢هـ

(٣) راجع ذلك في: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٠٤/٢) تحقيق سعيد المندوب دار الفكر لبنان ١٤١٦هـ – والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢ / ١٥) تحقيق د/ سيد الجميل. دار الكتاب العربي ط ١ ١٤٠٤هـ.

(٤) الإحكام للآمدي (٣ / ٣٠) دار الكتاب العربي – بيروت.

الأول: أن قولهم احتمال الكذب خيار مرفوض يوهن التعريف لأنه غير منطبق ولا يمكن أن ينطبق علي كلام الله تعالي وكلام رسول الله (ﷺ) والتعريف ينبغي أن يكون جامعا مانعا.

الثاني: أن أصحاب التعريفات وإن كنا نجزم ونقطع أنهم يوقنون ويقرون أن كلام الله وكلام رسوله (ﷺ) لا يحتملان الكذب إلا أنه لا يليق أن نجمع كلام الله وكلام رسوله (ﷺ) مع كلام غيرهما مما يحتمل الكذب: ولذلك يقول الآمدي (فأما ما يعلم صدقه فمنه ما يعلم صدقه بمجرد الخبر كخبر التواتر وما يعلم صدقه لا بنفس الخبر بل بدليل يدل علي كونه صادقا كخبر الله وخبر رسوله (ﷺ): فيما يخبر به عن الله تعالي).[1]

وللتخلص من ورود مثل هذه الإشكالات أخذ بعض العلماء وصف التصديق والتكذيب وجعله من جهة المخاطبين والسامعين فقال:(ما يتطرق إليه التصديق والتكذيب).[2] وقال الغزالي (~) بعد أن ذكره:(وهو أولي من قولهم: يدخله الصدق والكذب إذ الخبر الواحد لا يدخله كلاهما بل كلام الله تعالي لا يدخله الكذب أصلا، والخبر عن المحالات لا يدخله الصدق أصلا).[3]

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٢٠/٢).

(٢) راجع: روضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة المقدسي (١ / ٣٤٧) تحقيق/ د. عبد العزيز السعيد. الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود ط ٢ (١٣٩٩هـ).

(٣) المستصفى في علم الأصول لأبي حامد الغزالي (١٣١/٢) تحقيق / محمد سليمان الأشقر – دار الرسالة بيروت ط١ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م – وممن تنبه لذلك في العصر الحديث الشيخ ابن عثيمين حيث عرّف الخبر بانه: الكلام الدائر بين النفي والإثبات من قبل المتكلم، المقابل بالتصديق أو التكذيب من قبل المخاطب " انظر: تقريب التدمرية للشيخ / محمد بن صالح العثيمين ص (١٥) ط١ – دار ابن الجوزي – السعودية ١٤١٩هـ.

بعد أن بينا معني الخبر والإنشاء لغة واصطلاحا، نشرع بحول الله وقوته في توضيح بلاغة القرآن الكريم في استعمال الخبر بمعني الإنشاء والفوائد المترتبة علي ذلك.

المثال الأول:-

قوله تعالي: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ... ﴿٢٢٨﴾ ﴾[1].

لقد اشتهر في القرآن الكريم استعمال الخبر بمعني الإنشاء ومن الآيات التي استعمل فيها الخبر بمعني الإنشاء قوله تعالي: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ... ﴿٢٢٨﴾﴾ وقد أورد أبو حيان في هذه الآية قولين اثنين: **الأول:** أنها خبر لفظا ومعني، قال: (وقيل: هو أمر لفظا ومعني علي إضمار اللام أي: ليتربصن وهذا علي رأي الكوفيين).[2]

الثاني: أنها خبر لفظا أمر معني، قال: (وصورته صورة الخبر وهو أمر من حيث المعني).[3]

والأظهر – والله أعلم القول الثاني – لأن فيه إنزالا للكلام علي صورة لا نحتاج معها إلي تقدير محذوف أو مضاف، أضف إلي ذلك أن العرب تستعمل هذا الأسلوب، وهذا ما رجحه جمهور المفسرين.[4]

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٢٨.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان (٤٥٣/٢) ط – دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ – تحقيق/ صدقي.

(٣) المصدر السابق (٢ / ٤٥٣).

(٤) راجع: الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٥١٩) تحقيق د. أحمد الخراط – دار القلم دمشق – وفتح القدير للشوكاني (١ / ٣١٤) ط – دار الفكر بيروت لبنان.

قال الطبري: (فأوجب تعالي ذكره علي المرأة إذا صارت مطلقة تربص ثلاثة قروء).[١]

وقال البغوي: (لفظه خبر ومعناه أمر)[٢] فهذا الأمر من الله تعالي للمطلقات المد خول بهن من ذوات الإقراء بأن يتربصن بأنفسهم ثلاثة قروء أي بأن تمكث إحداهن بعد طلاق زوجها لها ثلاثة قروء، ثم تتزوج إن شاءت).[٣]

وفي هذا التعبير – أي استعمال الخبر بمعني الإنشاء – هنا عدة فوائد:-

قال الزمخشري: (فإن قلت: فما معني الإخبار عنهن بالتربص ؟ قلت: هو خبر في معني الأمر، وأصل الكلام: وليتربص المطلقات وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقى بالمسارعة إلي امتثاله، فكأنهن امتثلن الأمر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا. ونحوه قولهم في الدعاء: رحمك الله، أخرج في صورة الخبر ثقه بالاستجابة، كأنما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها).[٤]

وقال صاحب المنار: وأورد الحكم بلفظ الخبر دون الأمر وغيره من ضروب الإنشاء كقوله: كتب علي المطلقات كذا – لتأكيده والاهتمام به كأنه يقول:إن هذا التربص واقع كذلك لا محالة.....).[٥]

---

(١) جامع البيان للطبري (٤ / ٥١٥) تحقيق أ/ أحمد شاكر – مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٢) معالم التنزيل للبغوي (١ / ٢٦٧) تحقيق/ محمد عبد الله النمر وآخرون – دار طيبة ط ٤ سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٣) تفسير أبن كثير (٦٠٦/١) تحقيق / سامي محمد سلامة. دار طيبه – ط٢ سنة ١٤٢٠هـ.

(٤) الكشاف للزمخشري (٢٧٠/١) دار الكتاب العربي – بيروت ط ١٤٠٧هـ.

(٥) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (٢٩٥/٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب – ط ١٩٩٠م.

ويمكننا أن نستخلص من التعبير بالخبر في مقام الإنشاء في الآية الفوائد التالية:

(تأكيد الأمر والاهتمام به – الإشعار بأن هذا الأمر مما تجب العناية به – بيان حال المؤمنين الصادقين وذلك أنهم إذا جاءهم الأمر من الله امتثلوا).

المثال الثاني:-

ومن الآيات التي ذكر المفسرون فيها استعمال الخبر بمعني الإنشاء قوله تعالي: ﴿ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ .... ﴿٢٣٣﴾ ﴾[1].

وقد سلك المفسرون فيها مسلكين:

الأول: أنها خبر بمعني الخبر، قال في المنار:– وزعم بعضهم أنه خبر علي بابه أي: إن شأن الوالدات ذلك).[2]

الثاني: أنها خبر بمعني الإنشاء، بمعني أن الله أمر الوالدات أن يرضعن أولادهن حولين كاملين، وقد ذكر ذلك جمهرة من المفسرين إلا أنهم اختلفوا في هذا الأمر علي أقوال:

القول الاول: أنه يفيد الوجوب، فالأصل أنه يجب علي الأم إرضاع ولدها وذلك إن لم يكن هناك عذر مانع من مرض ونحوه...[3]

القول الثاني: يفيد الاستحباب، قال الرازي: (هذا الأمر ليس أمر إيجاب

---

(١) سورة البقرة آية: ٢٣٣.

(٢) تفسير المنار (٣٢٥/٢).

(٣) المصدر السابق (٣٢٥/٢) بتصرف.

ويدل عليه وجهان الأول: قوله تعالي: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[1] ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الأجرة، والثاني أنه تعالي قال بعد ذلك: (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ) وهذا نص صريح)[2].

القول الثالث: أنه يفيد الوجوب لقسم من الوالدات والاستحباب لقسم آخر، قال القرطبي: (يرضعن) خبر معناه الأمر علي الوجوب لبعض الوالدات، وعلي جهة الندب لبعضهن علي ما يأتي وقيل هو خبر عن المشروعية)[3] هذا وقد نحي ابن عاشور منحي آخر في تفسير هذه الآية حيث رأي أنها تتكلم علي حق من حقوق المرأة وليست عن حقوق الطفل، فقال، وجملة (يرضعن) خبر مراد به التشريع، وإثبات حق الاستحقاق، وليس بمعني الأمر للوالدات والإيجاب عليهن لأنه قد ذكر بعد أحكام المطلقات، ولأنه عقب بقوله: (وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ) فإن الضمير شامل للإباء والأمهات علي وجه التغليب.....، فلا دلالة في الآية علي إيجاب إرضاع الولد علي أمه، ولكن تدل علي أن ذلك حق لها، وقد صرح بذلك في سورة الطلاق بقوله: (وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ) ولأنه عقب بقوله: (وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ) وذلك أجر الرضاعة، والزوجة في العصمة ليس لها نفقة

(١) سورة الطلاق آية: ٦.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (١٠٠/٦) دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٦١/٣) دار الكتب المصرية – القاهرة ط٢.

وكسوة لأجل الرضاعة بل لأجل العصمة)[1] وما أورده ابن عاشور من ثبات حق المرأة في إرضاع ولدها لا يتنافي مع طلب ذلك منها وجوبا أو استحبابا، والذي يظهر لي أن أسلوب الآية يتناسق مع الطلب من المرأة إرضاع ولدها أكثر من كون ذلك حقا لها وهذا هو ظاهر العبارة التي بدأ بها ابن عاشور حين قال (خير مراد به التشريع) وعلي كل حال فاني لا أظن ابن عاشور يريد بقوله (تشريع) غير الأمر لأنه هو القسيم الوحيد للخبر وهو محل كلامنا هذا.

فنلحظ هنا كيف كان أثر استعمال الخبر بمعني الإنشاء علي الخلاف الفقهي في مسألتي العدة والرضاع.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٤٠٩/٢) مؤسسة التاريخ العربي ط أولي ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

المطلب الخامس

(من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم)

[استعمال الإنشاء بمعني الخبر والفوائد المترتبة علي ذلك]

ذكرنا فيما سبق استعمال الخبر بمعني الإنشاء، وسنتكلم هنا عن استعمال الإنشاء بمعني الخبر فهو أسلوب يمثل جانبا مهما من جوانب بلاغة القرآن الكريم وبالمثال يتضح المقال كما يقولون:-

المثـــال الأول: قولـــه تعـــالي: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾.[1]

فقد اختلف المفسرون في المراد من هذا الأمر في الآية الكريمة علي أقوال:-

الأول: أن هذا خبر عن حال المنافقين في الدنيا والآخرة، ذكر ابن عطية أن قولـه: (فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا) إشارة إلـي مدة العمر فـي الدنيا، وقولـه: (وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا) إشارة إلي تأبيد الخلود في النار، فجاء بلفظ الأمر ومعناه الخبر عن حالهم).[2]

وقال القاسمي: (فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا) أي: ضحكا قليلا، أو زمانا قليلا غايته مدة حياتهم (وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا) أي: بكاء، أو زمانا كثيرا بعد الموت، أبد الآباد).[3] وعلي هذا القول يكون الأمر هنا بمعني الخبر. والفائدة من استعمال الإنشاء بمعني

---

(١) سورة التوبة آية: ٨٢.

(٢) المحرر الوجيز لأبن عطية (٦٦/٣) تحقيق/عبد السلام عبد الشافي – ط دار الكتب العلمية لبنان ط أولي ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

(٣) محاسن التأويل للقاسمي (٤٦٩/٥) تحقيق/ محمد باسل عيون – دار الكتب العلمية – بيروت ط أولي ١٤١٨هـ.

الخبر في هذا الموضع إخراج هذا الأسلوب في صورة الأمر للدلالة علي تحتم وقوع المخبر به،وذلك لأن صيغة الأمر للوجوب في الاصل والأكثر، فاستعمل في لازم معناه أو لأنه لا يحتمل الصدق والكذب بخلاف الخبر[١] أمر بمعني الخبر، لكن الضحك والبكاء يكون في الآخرة، فهذان الأمران معناهما الخبر، والمعني: فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا، وإنما جئ بهما علي لفظ الأمر لدلالة علي أن ذلك أمر محتوم لا يكون غيره.[٢]

القول الثالث: وهو قريب من القولين السابقين ولكن جعل الضحك والبكاء في الدنيا قال صاحب المنار: (في هذا الأمر بقلة الضحك وكثرة البكاء وجوه: أحدهما – وهو المختار عندنا –أن هذا هو الأجدر بهم بل الواجب عليهم بحسب ما تقتضيه حالهم وتستوجبه جريمتهم لو كانوا يفقهون ما فاتهم بالتخلف والخلاف من أجر، وما سيحملون في الآخرة من وزر وما يلاقون في الدنيا من خزي وضر فهو خبر في صيغة أمر نكتته أنه أمر مبني علي واجب مقرر).[٣]

القول الرابع: أن الأمر هنا أمر تكوين كقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[٤] أي كن قارئا بعد إذ كنت أميا باسم الله مبلغا عنه..... والمعني علي هذا: فليكونوا بقدرتنا وتقديرنا قليلي الضحك كثيري البكاء لأن سبب سرورهم وفرحهم بتخلفهم ونفاقهم قد زال وأعقبهم الفضيحة والنكال)[٥] هذا:– والذي يظهر أن في

---

(١) روح المعاني للآلوسي (٣٤٠/٥) بايجاز – تحقيق / علي عبدالباري ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ

(٢) فتح القدير للشوكاني (٣٨٨/٣) ط دار الفكر. بيروت لبنان.

(٣) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا (٤٩١/١٠) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م.

(٤) سورة العلق آية: ١.

(٥) المصدر السابق (٤٩٢/١٠).

الأقوال التي نثبت ضحك الكفار في الآخرة نظرا،لأنه لم يرد عنهم الضحك في مواقف القيامة حيث أنهم لا يلاقون هناك إلا الذل والهوان والصغار، والضحك لا يتناسب مع هذا كله، فالذي نؤيده ونرجحه أن الإنشاء في هذا الموضع يراد به الخبر وأن الضحك هو ضحكهم في الدنيا ويناسبه وصفه بالقلة التي هي عنوان الانقطاع كما أن البكاء في الآخرة الدائمة وهو المناسب لوصف الكثرة.

المثال الثاني: ومن المواضع التي ورد فيها الإنشاء بمعني الخبر قوله تعالي: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ... ﴿٧٥﴾ ﴾[1] وقد اشتهر في تفسيرها **وجهان: الاول:** أن الإنشاء في الآية علي بابه والمراد منه الدعاء، قال الآلوسى: (وقيل: المراد الدعاء بالمد إظهارا لعدم بقاء عذر بعد هذا البيان الواضح فهو علي أسلوب (..رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ..)[2] إن حمل علي الدعاء).[3]

وعليه يكون المعني: قل يا نبي الله (ﷺ) لهؤلاء المشركين الذين ادعوا أنهم خير منكم، وأن الدليل علي ذلك أنهم خير منكم مقاما وأحسن منكم نديا: من كان منا ومنكم في الضلالة – أي الكفر والضلال عن طريق الحق – فليمدد له الرحمن مدا).[4]

الثاني: أن الإنشاء هنا بمعني الخبر أي: يمد سبحانه له ويمهله بطول العمر وإعطاء المال والتمكن من التصرفات فالطلب في معني الخبر، واختير للإيذان بأن ذلك مما ينبغي أن يفعل بموجب الحكمة لقطع المعاذير كما ينبئ عنه قوله:

---

(١) سورة مريم آية: ٧٥.

(٢) سورة يونس آية: ٨٨.

(٣) روح المعاني للآلوسي (٤٤٢/٨).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٤٨٧/٣) دار الفكر – بيروت ط ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

﴿ ...أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ... ﴿٣٧﴾ ﴾ [1] فيكون حاصل المعني من كان في الضلالة فلا عذر له فقد أمهله الرحمن ومد له مدا، وجوز أن يكون ذلك للاستدراج كما ينطق به قوله: ﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ﴿١٧٨﴾ ﴾ [2] والمعني: من كان في الضلالة فعادة الله تعالي أن يمد له ويستدرجه ليزداد إثما.[3]

قال الشنقيطي: (إن صيغة الطلب في قوله: (فليمدد) يراد بها الإخبار عن سنة الله في الضالين وعليه فالمعني: أن الله أجرى العادة بأن يمهل الضال ويملي له فيستدرجه بذلك حتى يري ما يوعده وهو في غفلة وكفر وضلال).

هذا، والذي يظهر – والله اعلم – أن الوجه الثاني أنسب وأوفق بمعني الآية الكريمة لأن دعاء الله تعالي بأن يزيد الضالين والفاسقين ويمدهم في هذه الدنيا أمر لا يقبله الشرع لأن الناس **قسمان:** إما مهتدون وهؤلاء ندعو الله لهم بالثبات علي الحق والهدي وأن يزيدهم منه، وإما ضالون ندعو الله تعالي أن يهديهم إلي الطريق المستقيم، بالإضافة إلي أن ما ذكره بعض المفسرين في حكمة استعمال الإنشاء علي بابه هنا من قطع العذر وإقامة الحجة. بهذا الفهم لا يستقيم مع أوامر الدين وسماحة الاسلام، وذلك أننا نقيم الحجة وندعو الناس إلي الهداية من أجل إنقاذهم من عذاب الله وعقابه لا من أجل أن نزيد من عذابهم وهذا ما تتابعت عليه الرسل وأنزلت من أجله الكتب.[4] ومما يدل علي رجاحة هذا الوجه كثرة الآيات التي تبين أن إمهال الله للظالمين سنة من سنن الله تعالي، ومن ذلك قوله

---

(١) سورة فاطر آية: ٣٧.

(٢) سورة آل عمران آية: ١٧٨.

(٣) أضواء البيان (٤٨٨/٣).

(٤) بلاغة القرآن في استعمال الخبر بمعني الإنشاء د/ خالد نواف (٣٨٣) بتصرف – مجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد (١٢) سنة ١٤٣٤هـ.

تعالي: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾.[1]

ومن فوائد استخدام الإنشاء بمعني الخبر هنا ما ذكره صاحب الكشاف في تفسيره حيث قال: أي: مدّ له الرحمن، يعني أمهله وأملي له في العمر، فأخرج علي لفظ الأمر إيذانا بوجوب ذلك، وانه مفعول لا محالة، كالمأمور به الممتثل لتنقطع معاذير الضال، ويقال له يوم القيامة: ﴿ ...أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ ... ﴿٣٧﴾ ﴾[2]....انتهي كلامه (~)..).[3]

(١) سورة الأنعام آية: ٤٤.

(٢) سورة فاطر آية: ٣٧.

(٣) الكشاف للزمخشري (٣٧/٣) دار الكتاب العربي. بيروت ط ١٤٠٧هـ.

الخاتمة

وألخص فيها أهم نتائج البحث

١) أن الناظر في هذا الكتاب العزيز بإنصاف تتراءى له وجوه كثيرة مختلفة من الإعجاز، كما تتراءى للناظر إلي قطعة من الماس ألوان عجيبة متعددة تبعد وما فيها من زوايا وأضلاع علي حد تعبير صاحب المناهل.

٢) أنه لو قلب كل منصف بصره في القرآن الكريم لرأي بلاغته وفصاحته في كل آيه بل في كل جمله وكلمه من كلماته مما يؤكدان وجوه الإعجاز البياني لا يمكن حصرها.

٣) من ضمن وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم إيجاز اللفظ مع سعة المعني.....

٤) من ضمن وجوه الإعجاز البياني في القران الكريم أيضا الدقه اللفظية في استعمال الكلمات القرآنية.

٥) من ضمن هذه الوجه أيضا: التناسب البليغ بين مضامين الآيات والأسماء الحسني في خواتيمها.

٦) الأظهر والأولي في معني الخبر اصطلاحا هو: الكلام الذي يقابل بالتصديق أو التكذيب من قبل السامع أما الإنشاء فهو: الكلام الذي لا يحتمل التصديق أو التكذيب من قبل السامع حتي يتناسب ذلك مع جلالة وعظمة قدر كلام الله تعالي فليس من الجائز ولا من اللائق أن يضمهما تعريف يحمل وصف احتمال الكذب.

٧) من وجه الإعجاز البياني في القرآن الكريم أيضا استعمال الخبر بمعني الإنشاء والعكس والأمثلة والشواهد علي ذلك كثيرة كما تقدم....

٨) من فوائد استعمال الخبر بمعني الإنشاء تأكيد الأمر المخبر عنه والإشعار بأنه يجب المسارعة إلي امتثاله،وبيان حال المؤمنين عند سماع التكاليف والأوامر.

٩) من فوائد استعمال الإنشاء بمعني الخبر الدلالة علي تحتم وقوع الأمر وأنه مفعول لا محالة.....

المصادر والمراجع

١- **البرهان في علوم القرآن:** الذركشى – تحقيق: مصطفي عبدالقادر عطا – ط دار الفكر بيروت ١٤٢١هـ -٢٠٠١م.

٢- **المفردات في غريب القرآن:** الراغب الأصفهاني ط الميمنية بمصر ١٣٢٤هـ.

٣- **مناهل العرفان في علوم القرآن:** الزرقاني ط دار إحياء الكتب العربية.

٤- **إعجاز القرآن:** مصطفي صادق الرافعي ط. دار المنار – مكتبة فياض د.ت.

٥- **إعجاز القرآن للبقاني:** مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة ط أولي ١٤٠٦هـ.

٦- **النبأ العظيم:** د. محمد عبد الله دراز – ط دار القلم – الكويت الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ.

٧- **المحرر الوجيز** – ابن عطية – ط أولي ١٣٩٨هـ – الدوحة – قطر. طبع علي نفقة أمير قطر – تحقيق: الرحالي الفاروق وغيره + ط دار الكتب العلمية بيروت.

٨- **الإتقان في علوم القران:** السيوطي. دار الفكر – بيروت ١٤١٦هـ تحقيق: سعيد المندوب.

٩- **تفسير أبي السعود:** ط دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان د. ت.

١٠- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** البيضاوي – دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان ط أولي ١٤١٨هـ.

١١- **التفسير المنير:** أ.د / وهبة الزحيلي – ط أولي – دار الفكر . بيروت دار الفكر . دمشق ١٤١١هـ . ١٩٩١م.

١٢- **الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه:** أ: محمود صافي – دار الرشيد . دمشق الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

١٣- **ملاك التأويل:** ابن الزبير الغرناطي . تحقيق: سعيد الفلاح . ط أولي – دار الغرب الإسلامي– بيروت.

١٤- **المفردات في غريب القرآن:** الراغب الأصفهاني . تحقيق: دار العلم – الدار الشامية – دمشق – بيروت طبعة ١٤١٢هـ.

١٥- **القاموس المحيط:** الفيروز آبادي – ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.

١٦- **الجامع لأحكام القرآن:** القرطبي – ط دار الغد العربي – القاهرة ط أولي سنة ١٤٠٩هـ + ط دار الكتب المصرية – القاهرة ط ٢ سنة ١٩٦٤م.

١٧- **صفوة التفاسير:** الصابوني – الطبعة التاسعة . دار الصابوني.

١٨- **الأعلام:** الزكلي – ط دار العلم للملايين – بيروت ط الخامسة ١٩٨٠م ١٩/ تفسير الفخر الرازي – ط الثالثة – دار إحياء التراث العربي – بيروت . لبنان . د. ت.

٢٠- **كشف المعاني في متشابه المثاني:** بدرالدين بن جماعه ط دار المنار – تحقيق د/ محمد داود – الطبعة الأولي ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م.

٢١- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المعان:** الشيخ السعدي – ط مؤسسة الرسالة . بيروت.

٢٢- **معجم مقاييس اللغة:** ابن فارس – تحقيق / عبد السلام هارون – دار الفكر – بيروت – ط ١٩٧٩م.

٢٣- **لسان العرب:** لأبن منظور – دار صادر – بيروت الطبعة الأولي.

٢٤- **الصاحبي في فقه اللغة:** ابن فارس القزويني . الناشر / محمد علي بيضون ط أولي ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٢٥- **الإحكام في أصول الأحكام:** الآمري تحقيق د: سيد ألجميلي – دار الكتاب العربي. ط أولي ١٤٠٤هـ

٢٦- **روضة الناظر وجنة المناظر:** ابن قدامة المقدسي . تحقيق: د. عبدالعزيز السعيد . الناشر جامعة الامام محمد بن سعود (ط٢).

٢٧- **المستصفي في علم الأصول:** أبي حامد الغزالي تحقيق: محمد سليمان الأشعر . دار الرسالة – بيروت – ط أولي ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٢٨- **تقريب التدمرية:** الشيخ: محمد بن صالح العثيمين – ط أولي . دار ابن الجوزي . ١٤١٩هـ.

٢٩- **البحر المحيط:** أبي حيان ط دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ – تحقيق: /صدقي جميل.

٣٠- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:** السمين الحلبي – ط دار القلم – دمشق تحقيق د/ الخراط.

٣١- **فتح القدير:** الشوكاني – ط. دار الفكر بيروت – لبنان.

٣٢- **جامع البيان:** الطبري – تحقيق أ: أحمد شاكر – مؤسسة الرسالة بيروت ط أولي ٢٠٠٠م.

٣٣- **معالم التنزيل:** للبغوي – تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون – دار طيبة ط الرابعة سنة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

٣٤- **تفسير بن كثير**: تحقيق: سامي محمد سلامة – دار طيبة ط٢ سنة ١٤٢٠هـ.

٣٥- **الكشاف**: الزمخشري – دار الكتاب العربي – بيروت ط ١٤٠٧هـ.

٣٦- **تفسير المنار**: الشيخ رشيد رضا – ط ١٩٩٠م الهيئة المصرية العامة للكتابة.

٣٧- **التحرير والتنوير**: أبن عاشور مؤسسة التاريخ العربي ط أولي ٢٠٠٠م.

٣٨- **محاسن التأويل**: للقاسمي – تحقيق: محمد باسل عيون – دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ.

٣٩- **روح المعاني**: الآلوسي – تحقيق: علي عبد الباري – ط الكتب العلمية ١٤١٥هـ.

٤٠- **أضواء البيان** – للشنقيطى – دار الفكر بيروت ط ١٤١٥هـ . ١٩٩٥م.

٤١- **بلاغة القرآن في استعمال الخبر بمعني الإنشاء**: د/ خالد نواف . مجلة تبيانه للدراسات القرآنية العدد ١٢ سنة ١٤٣٤هـ.

٤٢- **صحيح البخاري علي الفتح**: ابن حجر – ط دار المعرفة بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٤٣- **صحيح مسلم**: ط دار إحياء التراث العربي. د. ت تحقيق أ: محمد عبد الباقي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
تمهيد	٦
أولاً: معني الإعجاز	٦
ثانياً: المقصود من الإعجاز	٧
معنى الفَصَاحة لغةً واصطلاحًا	١٠
معنى الفَصَاحة لغةً	١٠
معنى الفَصَاحة اصطلاحًا	١٠
تعريف البلاغة لغة	١١
تعريف البلاغة اصطلاحاً	١١
وجوه الإعجاز البياني	١٢
المطلب الأول: من وجوه الإعجاز البياني في القران الكريم	١٤
إيجاز اللفظ مع سعة المعني	١٤
المطلب الثاني: (من وجوه الإعجاز البياني القرآن الكريم)	١٨
الدقة اللفظية في استعمال الكلمات القرآنية	١٨
(من وجوه الإعجاب البياني في القرآن الكريم)	٢٢
المطلب الرابع: (من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم)	٢٧
الخبر والإنشاء اصطلاح	٢٨

المطلب الخامس: (من وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم)	٣٥
(استعمال الإنشاء بمعني الخبر والفوائد المترتبة علي ذلك)	٣٥
الخاتمة	٤٠
المصادر والمراجع	٤٢
فهرس الموضوعات	٤٦